النشاط الزراعى فى خيبر

فى الجاهلية وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب

٢٣ هـ / ٦٤٤ م

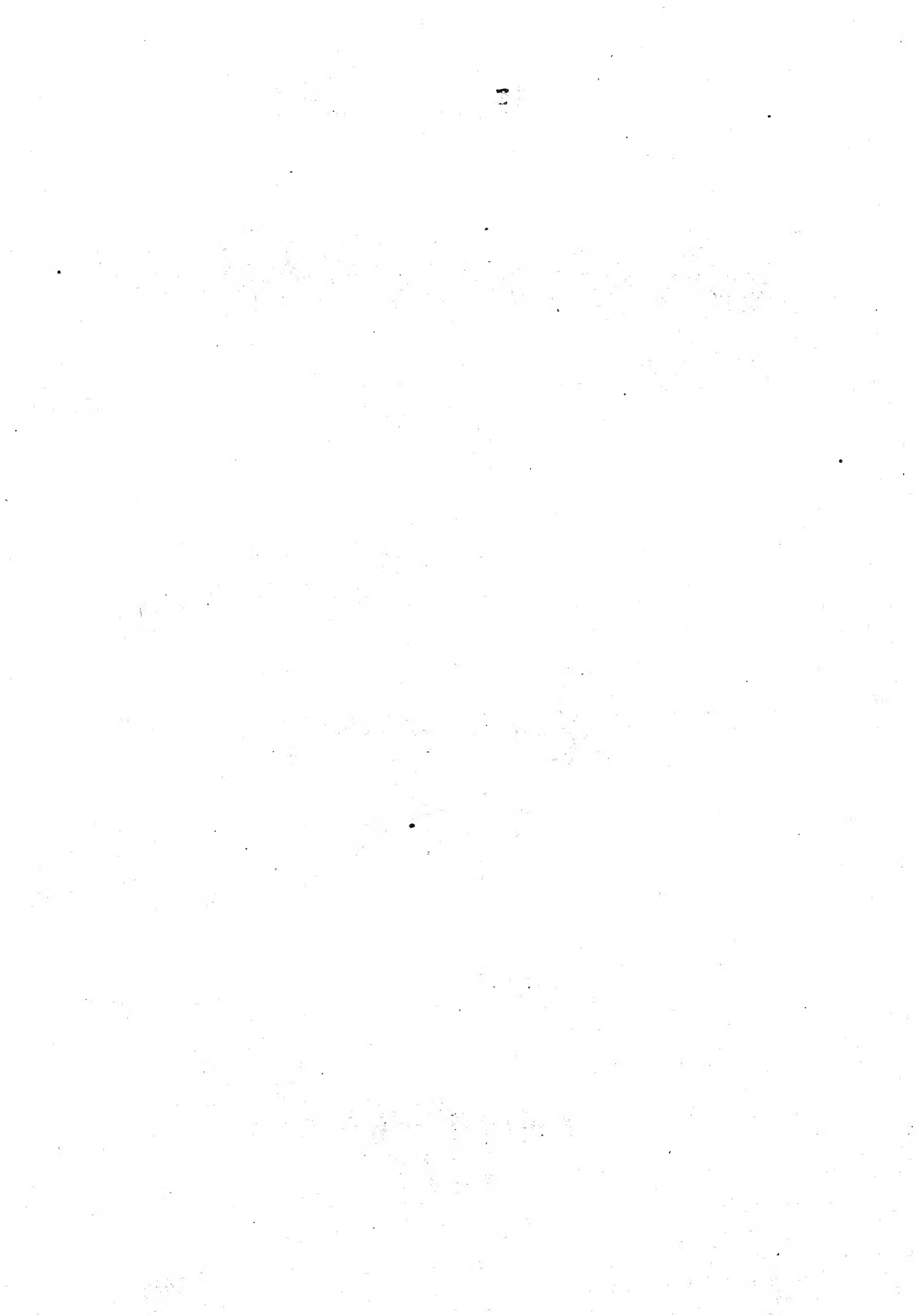
د. سلام شافعى محمود سلام

مدرس التاريخ الاسلامى

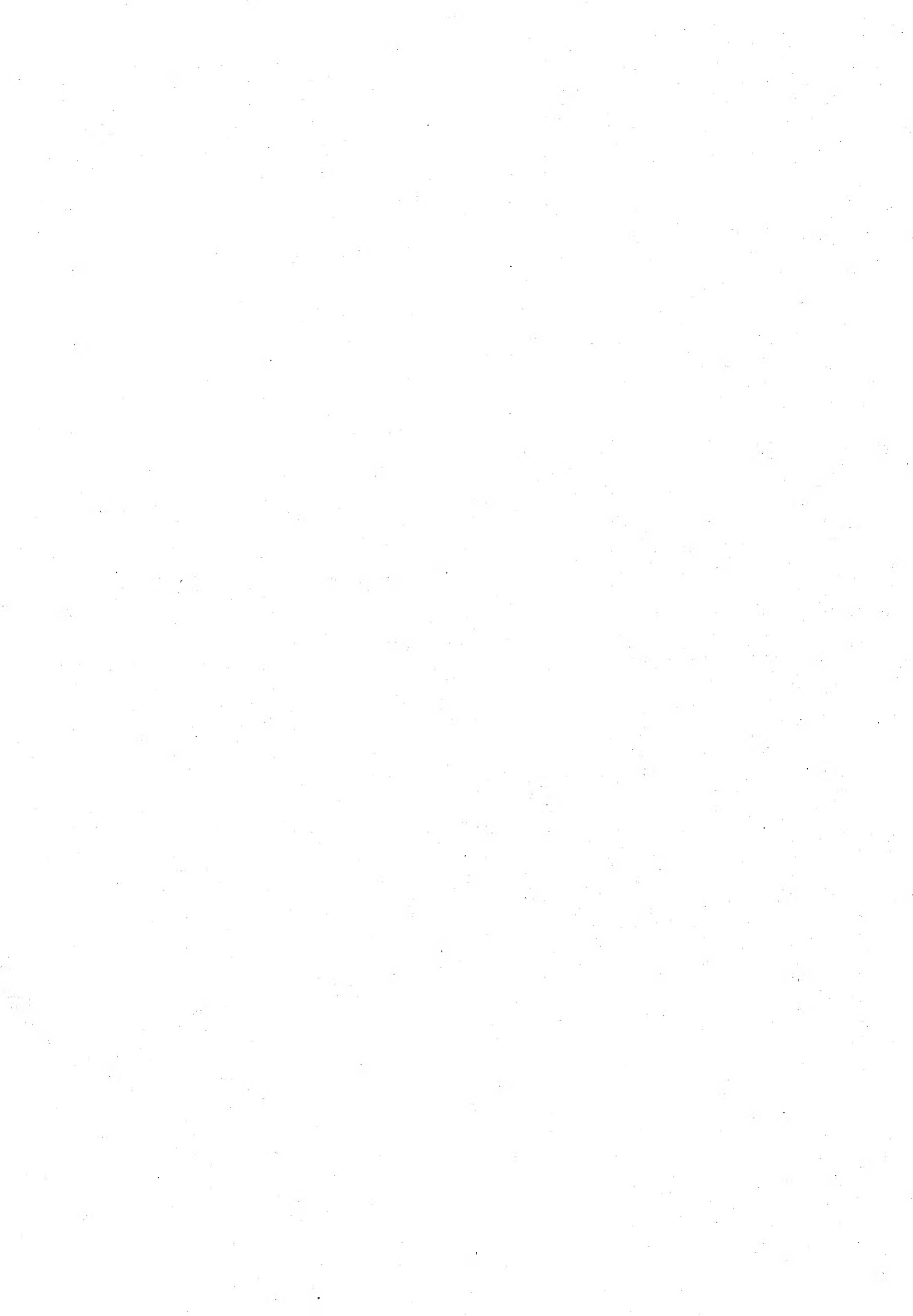
كلية الآداب - بنها

توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية

جلال حزى وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم



(مقدمة البحث)

عرفت الواحة فى خيبر بأنها واحدة من أغنى بقاع أرض الحجاز . واشتهرت بكثرة تمورها ووفرة ثمارها ، فإليها وفد أهل الحجاز ونجد للامتيار من حاصلاتها ، وعندها حطت قوافل التجارة وقامت الأسواق .

وقد أسهم الانتاج الزراعى الوفير فى خيبر فى اجتذاب أنظار الجاهليين ، وأسال كثرته لُعاب الجَرَّارِين ، مما دفعهم إلى توثيق علاقاتهم باليهود فى خيبر ، فأقاموا معهم علاقاتٌ حسن جوار ، وعقد البعض معهم الأحلاف لمؤازرتهم والوقوف إلى جانبهم ، واشتركوا فى مشروعات خيبر الحربية التى استهدفت الدفاع عن الواحة ، والهجوم على الدولة الاسلامية فى المدينة فى عهد النبى ﷺ بغية القضاء عليها ، وذلك مقابل جعل أو شطر من ثمار الواحة ، ولابد أن هذا الشطر كان كبيراً ، ومغرياً ، يستأهل التضحية من أجل الحصول عليه .

هذا الانتاج الزراعى الوفير . أسهم فى غنى سكان الواحة . وشهرتها ورخائها وازدهار تجارتها ، كما أسهم فى توجه العلاقات بين اليهود فى خيبر والقوى المجاورة لها ، كما أن اليهود فى خيبر وجهوا هذا الانتاج توجها حربياً ، وحولوه إلى اقتصاد حرب عند الضرورة ، عندما جعلوه فى خدمة مشروعاتهم الحربية والسياسية . غير أن هذا الانتاج الوفير ، قل وتدهور بعد أن فتح المسلمون خيبر ، مع أن الأرض ظلت بيد اليهود وفق ماشرط عليهم رسول الله ﷺ .

ومن ثم أصبح من الأهمية بمكان القيام بدراسة تفصيلية للتعرف على أوجه النشاط الزراعى لليهود فى خيبر قبل الإسلام ، وعوامل قيام الزراعة فى تلك الناحية من بلاد الحجاز وأهم المشروعات الزراعية التى قامت على أرض خيبر ،

ثم إلقاء الضوء على أهم المحاصيل الزراعية التى اشتهرت بها الواحة ، مع الإشارة إلى الانتاج الحيوانى فى الواحة الخيبرية ، ثم نختم هذا البحث بالقاء الضوء على أحوال الزراعة فى خيبر ، وأسباب تدهور الانتاج الزراعى فيها بعد الفتح وحتى إجلاء عمر بن الخطاب اليهود عن خيبر سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠ م .

والله الموفق ولله الحمد ،،،

د. سلام شافعى محمود

الاسكندرية فى ٧ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ .

١٠ يوليو ١٩٨٩ م .

النشـــاط الزراعى فى خيبر

فى الجاهلية وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب

خيبر ريف الحجاز :

عرفت خيبر قبل الإسلام بأنها « ريف الحجاز » [١] ، و (الريف) لغة : « الخصب والسعة فى المآكل .. والريف : ماقارب الماء من أرض العرب وغيرها ، والجمع أرياف وريوف . قال أبومنصور : الريف حيث يكون الخضر والمياه . والريف : أرض فيها زرع وخصب . ورافت الماشية أى رعت الريف . والريف : كل أرض فيها زرع ونخل ... وتريف القوم وأرْيفوا وتريَّفنا وأرْيَفنا : صرنا إلى الريف وحضروا القُرى ومعين الماء ، ومن العرب من يقول راف البدوى يريف إذا أتى الريف » [٢] ، و (الريف : الخصب والسعة فى المطعم ، وحيث الخضرة والحياة » [٣] ، وهكذا كانت خيبر ، وهكذا عرفها الجاهليون ، فهى عند أهل مكة « قرية الحجاز : ريفاً ومنعة » [٤] ، وهى عند اليثربيين « ريف الحجاز : طعاماً ، وودكاً ، وأموالاً » [٥] ، أما سادة مكة وتجارها الأثرياء فقد عرفوا خيبر بأنها « هى ريف الحجاز أجمع » [٦] .

ولا مبالغة فى أقوال الجاهليين ، فخيبر واحة كبيرة وأرض خصبة ، غنية بالأشجار والمزروعات ، وتُعَدُّ واحدة من أخصب واحات شبه جزيرة العرب [٧] ، ولايزال اسمها ـــ عند أهل اللغة ـــ يحمل الدلالة على خصبها ،

(١) الواقدى : المغازى ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت جـ ٢ ، ص ٧٠٣ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون ، دار المعارف بمصر ، حـ ١ ، ص ١٢٦٨ (مادة : ريف) .

(٣) الصالحى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، حـ ٥ ، تحقيق فهيم شلتوت وجودة هلال ، القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٦٠ .

(٤) ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م ، حـ ٣ ، ص ٤٠٧ .

(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٠٣ .

(٦) الواقدى : المصدر نفسه ، حـ ٢ ، ص ٧٠٤ .

(٧) حمد الجاسر : فى شمال غرب الجزيرة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .

فيقول ابن دريد : « وخيبر اسم الياء فيه زائدة ، أحسب اشتقاقه من قولهم أرض خَبْرَةَ طيبة الطين سهلة »[1] ومردُّ خصب الواحة فى خيبر (يعود) إلى غزارة مياهها وإلى تحلل صخور حرتها البركانية ، التى تحفظ على الأرض خصوبتها ، وتزيد من خصوبة التربة ، وتغذيها وتمدها بالعناصر التى تزيد من قابليتها للخصصب والنماء[2] .

أودية الواحة فى خيبر :

وتضم الواحة عدداً من القرى أو الدوائر الزراعية التى تكونت فى الأراضى الخصبة من الأودية التى تكثر فى ناحيتها[3] ، ولعل من أهم أوديتها حسبما أشارت إليه المصادر التاريخية والجغرافية واديا : **السرير وخاص**[4] ، وهما واديان كبيران ، فالسرير جار على سبعة أميال[5] والواديان يضمان العديد من الأودية مثل أودية : الشق ــ ويعرف اليوم بوادى الصوير ــ والنطاة وهما من أودية السرير[6] ، والكتيبة وهو واحد من أخصب أودية خيبر وأكثرها غنى[7] ، وهو الوادى المتصل بالوطيح إلى خاص (خَلْص)[8] .

(١) ابن دريد : جمهرة اللغة ، الطبعة الأولى ، حيدرآباد ، الدكن ، ١٣٤٥هـ ، حـ ٣ ، ٣٥٦ .

(٢) يوسف خليف : الشعراء الصعاليك ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٨ م ، ص ٧٢ .
ــ الخطراوى : المدينة المنورة فى العصر الجاهلى ، الطبعة الأولى ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢ م ، ص ١٠٩ .

(٣) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٤) الحربى : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م ، ص ٥٣٩ .
ــ ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، حـ ٤ ، ص ٢٠٢ .

(٥) البكرى : معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩ م ، حـ ٢ ، ص ٧٣٧ .

(٦) ابن شبة : تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم شلتوت ، جدة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، حـ ١ ، ص ١٨٨ .

(٧) المغازى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٨) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .
ــ البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢١ .

وكلها أودية اشتهرت بخصوبة الأرض ، وكثرة المزروعات ، وجودة المحاصيل ، وروعة الحوائط (البساتين) وغابات النخيل ، وخمائل الشجر .

لذا أقيمت لحماية هذه الأودية وحراستها سلسلة من الحصون المنيعة ، بل أن اليهود النازلين فى خيبر أقاموا فى الوادى الواحد العديد من الحصون والقلاع لحمايته ، ففى وادى السرير أنشئت حصون الشق ، وحصون النطاة [١] ، وفى وادى خاص أقيمت حصون لحماية وادى الكتيبة الذى يعد من أغنى أودية خيبر . ومنها : القموص أعظم حصون خيبر [٢] ، أما حصن الوطيح — الذى أقيم على جبل الأهيل فقد أنشأه اليهود مدعوماً بالعديد من الآطام لحماية مزارع وأموال تعرف بالوطيح [٣] ، فضلا عن غابات النخيل وأشجار الثمار التى زرعوها فى المناطق ذات التربة الطينية الخصبة على سفوح جبل الأُهَيْل [٤] ، وكان فى هذا الوادى طُعم أزواج النبى ﷺ إذ اختارت عائشة رضى الله عنها أن يكون سهمها من الأرض والماء [٥] ، كما كان فيه طعم بنى المطلب وبنى مخزوم [٦] .

---

(١) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٨٨ .
— الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، حـ ٢ ، ق ١ ، ص ١٠٦ .
— الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .
— ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧ م ، حـ ٣ ، ص ٣٧٩ .

(٣) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .
— البكرى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٢٠٦ ، حـ ٢ ، ص ٥٢١ ، حـ ٤ ، ص ١٣٨٠ .
— الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص ٢٢٨ .

(٤) ياقوت : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ٣٧٩ .

(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٢٠ .

(٦) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

عوامل النشاط الزراعي وأشهر السدود في خيبر :

وعمل اليهود بالزراعة في خيبر ، إذ كانت الفلاحة حرفتهم الرئيسية ولهم خبرة بالأعمال الزراعية [1] وكان اليهود وزوجاتهم وأولادهم يقومون بحرث الأرض وزراعتها [2] وفي حديث خيبر أن النبي ﷺ « أقرهم فلاحين ماشاء الله على أن لهم الشطر من كل زرع وثمر » [3] ، و « كان اليهود قوماً لهم ثمار لايصيبها قطعه » [4] أي لاينقطع عنها الماء فقد اشتهرت خيبر بأنها موضع عزير المياه ، « فهي مُغْفرة في الماء » [5] ، « والماء فيها واتن » [6] أي لاينقطع ، وذلك لكثرة العيون التي يستفاد منها في سقى الزرع وإرواء الأشجار المغروسة في أراضيها الخصبة [7] ، كما كانت تخرج من هذه العيون الدبول (الجداول) والمناهر (الأنهار الصغيرة) التي اهتم اليهود باصلاح مجاريها وتجهيزها وتنقيتها [8] ، وقد أشارت المصادر إلى تلك الدبول التي كانت مشارب لسكان الحصون ، كما ذكرت تلك المصادر أنه كان ليهود الحصون بالنطاة دبول تصل إلى أسوار الحصون ، وكانوا ينزلون إليها بالليل فيشربون أثناء حصار المسلمين لحصون النطاة ، وأن المسلمين قطعوا هذه الدبول مما اضطر يهود إلى الخروج من الحصون والتصدى للمسلمين عند الأسوار [9] .

---

(١) ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م ، ص ١٨٥ .

(٢) جروهمان : خيبر ـــ مقال بدائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٩ ، ص ٥٦ .

(٣) ابن قيم الجوزيه : أحكام أهل الذمة ، تحقيق صبحى الصالح ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(٤) الواقدى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٧١٣ .

(٥) الواقدى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧١٣ .

(غفره : غطاه القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ١٠٣) .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٣٧ .

(٧) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، جـ ٧ ، ص ١٩٧ .

(٨) جواد على : المفصل ، جـ ٧ ، ص ١٧٩ .

(الدبل : الجدول من الجداول ، وإنما سميت الجداول دبولا لأنها تدبل أى تصلح وتجهز وتنقى) .

(٩) الواقدى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ .

ومع أن المصادر أشارت إلى كثرة العيون فى خيبر ، وأن صاحب « تحفة المحبين » يذكر أنه رأى « فى بعض التواريخ أن اسمها فى الجاهلية (خَيْبَرٌ) لأنه كان بها من العيون بعدد أيام السنة » [١] ، إلا أن مصنفى هذه المصادر لم يفيضوا فى ذكر أسماء هذه العيون وأماكن تواجدها على وجه الدقة والتحديد ، فصاحب « كتاب المناسك وطرق الحج » ذكر أن « بالشق عيون » ولم يذكر من عيون هذا الوادى إلا عينا تسمى (الحمية) [٢] (الحَمَة)[٣] (الجَمَّة)[٤] وكانت غزيرة المياه [٥] وهى التى سماها النبى ﷺ (قسمة الملائكة) ، يذهب ثلثا مائها فى فلج ، وثلث فى فلج والمسلك واحد [٦] . كما كان من عيون الماء بوادى النطاة عين ماء تجرى تسمى (عين النطاة) ، يسقى منها بعض نخيل قراها [٧] ، واشتهرت بأنها عين وبئة [٨] أما (اللجيجة) فهى « العين العظمى بالنطاة » [٩] وفى هذا الوادى ورد اسم عين أخرى يقال لها (الخرار)[١٠] .

---

(١) ابن عبد الكريم الانصارى : تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، تحقيق محمد العروسى المطرى ، الطبعة الأولى ، تونس ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م ، ص ٢١٤ .

(٢) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٣) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٤) الفيروزابادى : المغانم المطابة فى معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م ، ص ١٠٠ .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٦) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٤١ .

ـــ الفيروزابادى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

ـــ الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٣٥ .

ـــ الديار بكرى : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت ، حـ ٢ ، ص ٤٨ .

(٧) الفيروزابادى : المصدر السابق ، ص ٤١٢ .

الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٨) ياقوت : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٩١ .

(٩) البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢٢ .

(١٠) البكرى : نفس المصدر ، حـ ١ ، ص ٤٩٢ .

وإذا كانت المصادر التى بين أيدينا لم تفض فى ذكر أسماء عيون الماء ومواضعها فى خيبر فإن بعض الباحثين فى معالم جزيرة العرب قد أشاروا إلى أسماء كثير من هذه العيون ومواضعها [١] .

على أن غزارة مياه بعض العيون فى خيبر ، وبخاصة تلك التى تسيل فى الأرض السبخة فيما بين واديا الشق والنطاة [٢] وهى أرض تر ، ومنطقة وخيمة [٣] ، فضلاً عن مسيل (عين النطاة) ، وهى عين وبئة ، أدى إلى انتشار بعض الأوبئة وبخاصة الحمى (الملاريا) ، لذا كانت خيبر « موصوفة بالحمى » [٤] ، فيقولون « حمى خيبر » ، « والحمى الخيبرية » [٥] ، التى سببتها المستنقعات الوبئة .

وتسقط الأمطار على منطقة خيبر ، فتسيل الأودية ، وتخوع بعضها [٦] ، وهناك جملة مسايل مازال الناس يزرعون عليها مما أدى إلى **اقامة السدود فى أعالى الأودية** ، بهدف حصر قدر من الماء لوقت الحاجة ، وإرواء ماحول السدود من الأرض التى لاعيون ولا آبار فيها ، فضلا عن حجز المياه القوية والسيول التى قد تحدث فى الواحة فياضات تؤثر فى المزروعات أو منازل

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ — ٢٨٧ .

(٢) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٣) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٤٣ .

(النز : مايتحلب من الأرض ماء — الصحاح ص ٨٩٦) .

(٤) البيهقى : المحاسن والمساوىء ، حـ ٢ ، ص ١٤٠ .

— القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ، ص ٩٢ .

(٥) « والناس يقولون : حمى خيبر ، وطوعين الشام ، ودماميل الجزيرة ، وجرب الزنج ، وطحال البحرين » — الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ، ص ١١٨ .

(٦) الفيروزابادى : المغانم المطابة ، ص دذظ .

السكان ، إذ تشير الآثار الباقية من تلك السدود على معرفة بفن هندسة الرى ، وحذق ومهارة فى اقامتها ، وإدراك لفائدتها[1]، وتشير مصادرنا التاريخية فى حوادث المحرم/ صفر سنة ٧ هـ أثناء رجوع النبى ﷺ إلى أشهر السدود المعروفة آنذاك وهو « سد الصهباء » كما تشير إلى أنه يقع على ستة أميال من خيبر من جهة المدينة إلا أن هذه المصادر لم تقدم لنا المزيد من التفاصيل عن هذا السد أو غيره من السدود التى كانت موجودة آنذاك [2]

على أنه من السدود التى يرجع تاريخ إنشائها إلى عصر ماقبل الإسلام مباشرة فى منطقة خيبر "سد القصيبة"[3]، والذى سماه فلبى (سد قصر البنت)[4] ، ويشير تقرير أثرى إلى أنه يُعد من أكبر السدود القديمة الأثرية فى تلك المنطقة ، ويقع فى رافد ضيق عميق لوادى الغَرْس فى حرة خيبر ، ويبلغ طوله ٢٠٥ متر ، والأجزاء الباقية من جسم السد بارتفاع ٢٥ متراً من الجهة الشرقية ، بينما يبلغ ارتفاعه من الغرب عند الوجه الخلفى ١٩ متر ، ويرتفع الغرين أمام وجه السد [5] ، وقد بنى السد من حجارة غير مشذبة ، ملصقة بمهارة وحذق[6] والسد مُدَرَّج فى كلا جانبيه ، ويشكل قطاعاً مستعرضا مثلث الشكل . مدعم بدعامات تزيد من قوته ومتانته [7] ، وهناك أيضا (سد المشقوق) شرق خيبر و (سد الحصيد) ويقع فى الجنوب الغربى من الواحة

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢) ابن سعد : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ق ١ ، ص ٧٧ .

— البيهقى : دلائل النبوة ، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق عبدالمعطى قلعجى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م ، حـ ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٣) جليمور وآخرون : تقرير مبدئى عن مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية ، أطلال (حولية الآثار العربية السعودية) ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص ١٨ .

(٤) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٥) جيلمور وآخرون : المرجع السابق ، حـ ٦ ، ص ١٨ .

(٦) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٧) جيلمور وآخرون : المرجع السابق ، حـ ٦ ، ص ١٨ .

الخيبرية ، ويرى عالم الجزيرة أن هذه السدود كانت صالحة ومستعملة فى عصر ماقبل الاسلام ، وأنها أفادت الزراعة فى خيبر وخاصة أشجار النخيل وحقول القمح وهما أهم حاصلات الواحة الخيبرية التى يحتاج إليها أهل البادية الذين يفدون إلى خيبر للامتيار [1] .

ونظراً لتوفر المياه فى خيبر من العيون فى المسايل والجداول والمناهر ، إلى جانب الأمطار ، فضلاً عن خصوبة التربة فى كثير من أوديتها وعلى سفوح بعض جبالها ، وخبرة يهود واهتمامهم بخدمة الزرع من إصلاح الأرض[2] ، وسقى الثمار وتطهير الأنهار (القنوات) وإصلاح منابت الشجر وتلقيحه ، وحفظ الثمرة وجذاذها ، وبناء الحوائط وحفر الأنهار [3] فقد اخضرت الواحة بأشجار النخيل وجادت المزارع والبساتين بالثمار .

أهم المحاصيل الزراعية فى واحة خيبر :

وواحة خيبر من أشهر مناطق الحجاز التى تجود وتكثر بها أشجار النخيل [4] « موصوفة بكثرة النخل والتمر » [5] ففى حديث خيبر عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لما فتحنا خيبر ، قلنا : الآن نشبع من التمر » [6] لكثرة مافيها من

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م، ص ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ .

— جواد على : المرجع السابق ، حـ ٧ ، ص ١٤٢ .

(٣) النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ، حـ ١١ ، كتاب المساقاة والمزارعة ، ص ٢١١ .

— ابن زنجويه : الأموال ، تحقيق شاكر ذيب فياض ، الطبعة الأولى ، مركز الملك فيصل للبحوث ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ ، حـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٤) ابن حجر : فتح البارى ، حـ ٦ ، كتاب المغازى ، باب غزوة خيبر ، حديث رقم ٤٣٤٣ ، ص ٥٦٧ .

(٥) ياقوت : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص .

(٦) ابن حجر : فتح البارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة خيبر ، حـ ٧ ، حديث رقم ٤٢٤٢ ، ص ٥٦٧ .

السندرة [٤] وهناك أيضا شجر الدُّوم [١] وهو شجر يشبه النخل إلا أنه يثمر المقل ، وله ليف وخوص مثل ليف النخل [٢] ، وغير ذلك من الأشجار التى كثرت فى أرض خيبر ، ففى الحديث أن رسول الله ﷺ « أقطع الزبير أرضا بخيبر فيها شجر ونخل » [٣] ، كما تشير بعض المصادر إلى أن اليهود فى خيبر غرسوا الأشجار أمام أسوار الحصون مثل تلك التى وجدت عند حصن ناعم [٤] ، وعند حصن وجدة [٥] ، كذلك نمت الأحراش فى الواحة الخيبرية ، وأشارت بعض مصادرنا إلى أحمال الخشب والحطب التى وجدها المسلمون فى بعض الحصون بعد فتحها [٦] .

الرعى وتربية الماشية :

كذلك وجدت فى الأودية الكثيرة الخصبة فى خيبر المراعى الخضراء الغنية [٧] بالحشائش ، والبقل ، والأشجار المورقة ، والأحراش فضلا عن آبار الماء والجداول الجارية ، وعيون الماء التى تسيل فى الأودية فتخضر الأرض دونما عناء [٨] ومن ثم اهتم يهود بتربية **الغنم ، والبقر ، والحمير ، والإبل** ، وكلها

---

(١) ابن منظور : اللسان ، حـ ٢ ، ص ٢١١٦ (مادة : سند) .
(٢) البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢١ .
(٣) ابن منظور : اللسان ، حـ ٢ ، ص ١٤٦٠ (مادة : دوم) .
(٤) ابن زنجويه : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦١٤ .
(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٥٥ .
(٦) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .
— البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢١ .
(٧) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٦٤ .
— المقريزى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٢٤١ .
— الحلبى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٤٣ .
(٨) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

النخيل ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « ماشبعنا — يعنى من التمر حتى فتحنا خيبر »(١) ، وأبو رافع سلام بن أبى الحقيق نزيل خيبر وأحد الرؤساء اليهود هو القائل أثناء حصار النبى ﷺ ليهود بنى النضير سنة ٤ هـ : « إن قُطِعت العجْوَة هاهنا ، فإنَّ لنا بخيبر عَجْوَة »(٢) وكانت العجوة خير أموالهم(٣) ، وهو أيضا نفسه القائل عند اجلاء بنى النضير عن المدينة « ... فإن يكن النخل قد تركناها فإنَّا نقدَم على نخلٍ بَخيْبَر »(٤) ، ويهود خيبر هم الذين قالوا عن أنفسهم : « نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها »(٥) ، و « إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً »(٦) كما كان يهود خيبر فى نظر من حولهم من القبائل العربية هم « أهل النخل »(٧) .

وقد يتساءل القارىء عن السبب بل عن الأسباب التى أدت إلى كثرة أشجار النخيل فى الواحة الخيبرية بعامة وفى منطقة الحصون بخاصة ؟

يجيبنا على هذا التساؤل الصحابى الجليل الحباب بن المنذر رضى الله عنه — وكان له معرفة ودراية بيهود خيبر(٨) — عندما أشار على النبى ﷺ بقطع أشجار النخيل التى كانت ترتفع أمام حصن ناعم بوادى النطاة حال حصاره بقوله : « يارسول الله إن يهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم ،

---

(١) ابن كثير : السيرة ، حـ ٣ ، ص ٣٨٣ .
— الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٣٥ .
(٢) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٧٣ .
(٣) الواقدى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .
(٤) الواقدى : نفس المصدر ، حـ ١ ، ص ٣٧٥ .
— الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٤٦١ .
(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩٠ .
(٦) البلاذرى : المصدر السابق ، ص ٣٦ .
(٧) المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٢٩ .
(٨) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٤٣ .

فاقطع نخلهم »[١] . ولا عجب ! فيهود منطقة الحصون . كانوا أحرص الناس على زرع النخيل وغرسه ، وكانوا أكثر خبرة بزراعته وسقيه[٢] لأن النخلة مثل الجمال فى الثروة ، ورأس مال تدر على صاحبها محصولاً كثيراً وربحا وفيرا[٣] ، ومن كان له نخل وافر كان غنيا ثريا ، وهو خير أموالهم[٤] فالنخلة عندهم من حيث القيمة تساوى « ثمن وصيف وأحب إليهم من وصيف »[٥] ، ومن ثم اكتسب يهود خيبر من وراء زراعته أموالاً طائلة لأن الاعراب كانوا يأتون خيبر ليشتروا تمورها بما عندهم من وبر ومن حاصل البوادى[٦] ، فضلا عن ذلك فإن اليهود أحاطوا النخلة — « وهى سيدة الشجر »[٧] لاعند سكان الجزيرة فحسب ، بل عند قدماء الساميين بهالة من التقديس والتعظيم ، إذ عثر على صورها وصور سعفها على نقود العبرانيين (اليهود) الذين كانوا يحترمون النخلة احتراما لايقل عن احترام العرب لها ، ومن ثم ورد ذكرها فى مواضع عديدة من التوراة والتلمود[٨] ، أضيف إلى ذلك أن يهود خيبر زرعوا النخيل واستكثروا من زراعته فى الأرض السَّبِخَة الواقعة بين واديا النطاة والشق ، وهى أرض وخيمة ، ذات نز ، وملح[٩] ،

---

(١) الواقدى : المصدر نفسه ، حـ ٢ ، ص ٦٤٤ .

(٢) الواقدى : المصدر نفسه ، حـ ١ ، ص ٦٩١ .
البلاذرى : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٣٦ .

(٣) أبوحاتم السجستانى : كتاب النخل ، تحقيق ابراهيم السامرائى ، الطبعة الأولى ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ، ص ١٥ .

(٤) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٧٢ .

(٥) البغوى : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ٥٩ .

(٦) جواد على : المفصل ، حـ ٧ ، ص ٦٨ .

(٧) أبوحاتم السجستانى : المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٨) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٩) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٤٣ ، ٦٤٤ .
وانظر ابن منظور : لسان العرب ، حـ ٢ ، ص ٨٣ مادة (سبخ) .

للتخفيف من البخر الناتج من شدة الحرارة وارتفاع الملوحة ووجود النز [1] الذى يهدد التربة الزراعية فى تلك المنطقة من النطاة بالاستملاح المتزايد ، ومن ثم لجأ اليهود فى خيبر إلى زراعة النخل باعداد كبيرة فى منطقة النطاة لا كغذاء أو قيمة اقتصادية فحسب ، وإنما أيضا للمحافظة على التربة الخصبة بالنطاة، ولمحاصرة الأرض السبخة ، كذلك غرس اليهود فى خيبر النخيل بكثرة فى الأودية بمنطقة الحصون لتستظل به الزراعة ، ولترقد عند أقدامها وبين جذوعها العديد من الزروع والمحاصيل [2] ، وليستظل تحتها الإنسان والحيوان ، وليستفاد من جذوعها وثمارها وخوصها وليفها ونوى تمرها [3] . ولهذا امتازت منطقة الحصون بوجود آلاف من أشجار النخيل[4] ، قامت كالغابة الحقيقية وصارت تشكل مظلة الواحة فى خيبر ، اذ تذكر المصادر التاريخية والجغرافية أنه كان فى منطقة حصون وادى الكتيبة (٤٠٠٠٠) أربعين ألف نخلة [5] ، أما منطقة حصون وادى النطاة « فكانت كثيرة النخل » مع أن أرضها أرض نز [6] كما أحاطت بحصن (وجدة) كثرة من أشجار النخيل [7] هذا فضلا عن

---

(١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٧٨ ، ٦٩٠ .

ـــ المقريزى : امتاع الاسماع ، تحقيق محمد النميسى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ، حـ ١ ، ص ٢٤٧ .

(٣) نورة الشيخ : الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة المنورة فى صدر الاسلام ، الطبعة الأولى ، جدة ، السعودية ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م ، ص ١٢٥ .

(٤) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥) ابن شبه : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٧ .

ـــ ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ٤ ، ص ٤٠٢ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٤٤ .

(٧) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .

ـــ البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢١ .

نخيل الوطيح ـــ الذى ترويه عيون معروفة فى خيبر [١] وغيرها من أشجار النخيل التى انتشرت فى الواحة الخيبرية فى جهتيها الشرقية والجنوبية الغربية [٢] .

إلا أنه لم يغب عن ذهن الباحث أن يهود خيبر غرسوا أشجار النخيل بكثرة أمام الحصون ، بل وأحاطوها بغابة من النخيل كضرورة حربية ، لتشكل بأعدادها الكبيرة المتقاربة والمتراصة عائقا يعرقل تقدم المهاجمين واقتحامهم الحصون ، حيث لامجال للفرسان والخيالة للقيام بعمليات هجوم جماعى أو فردى خاطف أمام كثافة أشجار النخيل التى تعوق حركتها ومناورتها وتضيق الطريق عليها [٣] كما أن كثافات أشجار النخيل الملاصق للحصون وارتفاع قاماتها الباسقات وتشابك رؤوسها فى عنان السماء يمنع سهام المغيرين وحرابهم ونبلهم وآلات رميهم من الوصول إلى المدافعين فى القلاع والآطام والأبراج وخلف الأسوار [٤] كذلك كان سكان الحصون يستخدمون خَمَر النخل ككمائن حيث يدخلون فيها ويختبئون ، لينقضوا على عدوهم ليلاً أثناء مبيته أمام أسوار الحصون فى انتظار الصباح لمواصلة الهجوم فينالون منه [٥] . وأخيراً فان الحصون فى خيبر كانت تقف شامخات فى ذرى الجبال لتحمى غابات النخيل التى تشكل القاسم الأكبر من ثروة اليهود القاطنين فى الحصون .

---

(١) حمد الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

(٢) حمد الجاسر : نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

(٣) باشميل : غزوة خيبر ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ، ص ٢٢٧ .

(٤) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٤٣ .

الخمر : بالتحريك ، الشجر الملتف ... وما وراك من الشجر لابن منظور : اللسان ، حـ ١ ، ص ٩٠٠ .(مادة : خمر) .

ـــ الحلبى : انسان العيون فى سيرة الأمين المأمون ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م ، حـ ٢ ، ص

(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٤٣ .

ولأهمية النخل والاهتمام بها جادت أشجار النخيل بأنواع التمور ، واشتهرت خيبر بكثرة التمر [1] ، حتى ضرب بها المثل فى كثرته .

قال حسان بن ثابت :

فإنا ومن يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا [2]

وقال خارجة بن ضرار المُرِّى :

فإنك واستبضاعك الشعر نحونا كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا [3]

ولجودة تمر خيبر صار أهلها يضربون به المثل المعروف : « يامهدى التمر على أهل خيبر » [4] .

وليس أدل على كثرة محصول التمر فى الواحة الخيبرية من أن نخل وادى الكتيبة كان ينتج ثمانية آلاف وسق من التمر [5] ، كما كان محصول نخيل وادى النطاة وفيراً [6] . وأما عن الانتاج الكلى لمحصول التمر فى واحة خيبر فى عام ، فان ابن شبَّة يذكر فى مؤلفه « تاريخ المدينة المنورة » أن رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن رواحه ليخرص على يهود خيبر النخل ، فخرص عليهم أربعين ألف وسق من التمر [7] .

---

(١) القزوينى : المصدر السابق ، ص ٩٢ .
— الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٣٥ .

(٢) حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفى حسانين ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٠٨ .

(٣) جواد على : المفصل ، حـ ٢ ، ص ٧٠ .

(٤) عاتق غيث البلادى : بين مكة وحضرموت ، الطبعة الأولى ، مكة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م ، ص ١٧٣ .

(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٦) الحربى : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ .
— البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢١ .

(٧) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٧ .

كذلك اشتهرت خيبر بجودة تمورها ، فهناك **العَجْوَة** أشهر أنواع التمر [١] ، وهناك (**الصيْحَانى**) الذى اكتسب شهرة كبيرة فى أسواق الجزيرة [٢] ، ويفضل كثيرا على سائر تمور الحجاز [٣] ، وعلى حد قول شيخ من العرب : « فأطيب مُضغةٍ أكلها الناس صَيْحَانية » [٤] أما (**الجنيب**) الذى يعد من أجود أنواع التمر فى خيبر [٥] فقد كان غالى القيمة بالنسبة لبعض الأنواع الأخرى من التمور ، ففى الأسواق كان يباع (الجنيب) بـ (الجمع) الصاع بالصاعين والصاعين بالثلاثة [٦] ، وهناك « **بُردى خيبر** الذى لايدانيه جودة وعظم تمرة تملأ الكف إلا مُدَبِّس نجران » [٧] .

هذا ولا ننسى أن يهود خيبر أعدوا فى حصونهم ودورهم مخازن تمورهم ، وكان فى كل حصن خازن[٨] ، فدار بنى قمة ، وهى من آطام اليهود بالنطاة ، وكانت ملكاً لـ (ياسر اليهودى) ، كانت مخازنها مملوءة بالتمر ، ففى رواية

---

(١) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٢ ، ١٧٥ .

(٢) السمهودى : وفاء الوفا باخبار المصطفى ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، بيروت ، ١٩٧١ م ، حـ ٤ ، ص ١٢٦٦ .

(٣) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، حـ ١ ، ص ٢٤٥ ، حاشية ٤ .
— الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

(٤) أبو حاتم السجستانى : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٥) الخزاعى : كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ م ، ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

(٦) مالك : الموطأ ، كتاب البيوع ، رواية يحيى بن يحيى الليثى ، تحقيق أحمد عرموس ، الطبعة السادسة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م ، حديث رقم ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ص ٤٢٩ .

(٧) الهمدانى : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ، ص ٣٦١ .
والبُردى : بالضم ضرب من تمر الحجاز جيد معروف يشبه البرلى (اللسان ، حـ ١ ، ص ١٩٠ ، مادة : برد) .
والبرلأنى : ضرب من التمر ، مدور أحمر مشرب بصفرة ، كثير اللحاء ، عذب الحلاوة ، وهو أجود أنواع التمر (اللسان : حـ ٢ ، ص ١٨٩ ، مادة : برد) .

(٨) الأفغانى : أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٠ م ، ١٥٧ .

لعائشة رضى الله عنها قالت : « ماشبع رسول الله ﷺ خبز الشعير والتمر حتى فُتِحَتْ دارُ بنى قمَّة » [1] ، كما كانت حصون اليهود فى النطاة والشق والكتيبة تمتلى مخازنها بالتمور [2] ، وقد غنم المسلمون مافيها من تمور وكانت كثيرة بعد أن فتحوا تلك الحصون [3] .

أما عن النَّوَى ، فقد كان انتاج خيبر منه وفيرا ، « فربما اجتمع ألف صاع من النَّوَى فى الكتيبة وحدها » [4] ، فضلاً عن انتاج النواحى الأخرى من خيبر مما يدل على كثرة النوى الذى كان يُعد علفاً للابل والغنم وغيرها ، ويشكل سلعة هامة عند يهود سكان الحصون ، "فنوى النخل عظيم البركة ، تعلف الابل النوى حتى تسمن وتكثر شحومها .. وتقوى على حمل المحامل الثقال ، وتُعلف الصَّنَايا من الغنم النوى أيضا ، فتكثر ألبانها ، ويباع النوى بمال عظيم لايضبط حسابه » [5] .

وفى واحة خيبر التى حرص اليهود على أن لاينقطع الماء عن ثمارهم [6] ، زرع اليهود تحت النخلِ كثير من الزروع والحاصلات ، وبخاصة الشعير الذى جادت زراعته فى أودية خيبر ، فكان انتاج وادى النطاة من الشعير وفيراً [7] ، وماغنمه المسلمون من (دار بنى رقمَّة) يقطع بوفرة انتاج هذا الوادى [8] ،

---

(١) البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢٣ .

(٢) البرهان الحلبى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٤١ .

(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ، حـ ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٤) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٥) أبو حاتم السجستانى : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩٠ .

(٧) ابن كثير : السيرة النبوية ، حـ ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٨) البكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥٢٣ .

كما « كان يزرع فى الكتيبة شعير ، فكان يحصد منها ثلاثة آلاف صاع »[1] ، كما وجد فى (حصن الصعب) وهو من حصون النطاة شعيراً كثيراً[2]، أما عن الانتاج الكلى لمحصول الشعير فى خيبر فقد بلغ حوالى عشرة آلاف صاع[3] ، وكانت له مخازن فى الحصون والآطام والدور ، وكان اليهود يتاجرون بدقيق الشعير ويبيعونه فى الأسواق[4] كذلك زرع اليهود **القمح** وكان انتاجه وفيرا[5] ، وكان يعد من أهم تجاراتهم[6] ، كما زرعوا **البقول**[7] وكانوا يقبلون على أكلها ، فضلاً عن **الخضروات** وبخاصة **البصل والثوم والكرات** إذ حرص اليهود على أكلها لما فيه من صحة أبدانهم فيما يعتقدون[8] ، ويخبرنا أبا ثعلبة الخشنى أنه غزا مع رسول الله ﷺ خيبر ، « فوجدوها فى جنانها بصلاً وثوماً فأكلوا منه وهم جياع » ، وفى رواية « حتى تقرحت أشداقهم » ثم نهى النبى ﷺ عن اتيان المسجد لمن أكلهما[9] .

(١) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩٣ .

(٢) الواقدى : نفس المصدر ، حـ ٢ ، ص ٦٦٤ .

ـــ البرهان الحلبى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٤١ .

(٣) الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٤) نورة الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٥) السهيلى : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ٥٢٧ .

(٦) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٨

ـــ نورة الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٢٧

(٧) الشيبانى : كتاب السير الكبير ، املاء محمد بن أحمد السرخسى ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م ، حـ ١ ، ص ١٣٣ .

ـــ الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩١ .

(٨) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، حـ ٣ ، ص ٢٧٠ .

ـــ ابن عبدربه : العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، حـ ٦ ، ص ٣٠٦ .

(٩) عروة بن الزبير : مغازى رسول الله ﷺ ، ص ١٩٥ .

البرهان الحلبى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٥١ .

وكان يهود خيبر أصحاب **حوائط** [1] وقد غنم المسلمون منهم بعد فتح الحصون حوائط كثيرة [2] ، والحوائط جمع حائط ، وهى البساتين ، إذ يقال للبستان إذا كان محاطا بسور الحائط [3] ، وكانت حوائط يهود منتشرة فى أودية النطاة والشق والكتيبة [4] ، وكانت هذه الحوائط تغص بمختلف أشجار الفاكهة والنخيل وغيرها من المزروعات التى كانت تحتاج إلى أسوار تحيط بها للمحافظة عليها خشية نهبها ولتيسير حراستها [5] ، بل إن يهود خيبر ربطوا بين هذه الحوائط بشبكة من السكك الضيقة تؤدى إلى الحصون المنيعة [6] التى تعددت أغراضها وبخاصة حراسة الواحة ومن عليها .

وفى خيبر غرس اليهود أنواعا من الشجر ، مثل **شجر العُشَر** ، وهو من كبار الشجر ، معروف عندهم ، وله صَمغ حلو يسمى العشر ، وثمرته نفاخة كنفاخة القثاء الأصفر [7] ووجدت منه حول بعض الحصون عشرات عُمْرِيَّة [8] ، وهناك **شجرة السَّندرة** ، وهى شجرة يعمل منها النبل والقسى [9] . كما يصنع منها مكاييل كبيرة تعرف بمكيال السندر ، أو

---

(١) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن كثير : السيرة ، حـ ٣ ، ص ٣٩٤ .

— الصالحى: المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٢٠ ، ٢٦٢ .

(٣) ابن منظور : اللسان ، حـ ١ ، ص ٧٥٧ ، مادة (حوط) .

— الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ١٧٩ .

(٤) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

— الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ٢١٧ .

(٥) جواد على : المفصل ، حـ ٧ ، ص ٣٤ ، ٧٧ .

(٦) ابن سعد : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ق ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٩ .

(٧) الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٥٢ .

(٨) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

(٩) الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ٢٥١ .

كانت ترتع سائمة فى أرض الواحة فى حماية الحصون وعلى مقربة منها [1] . وكان يهود خيبر يخرجون بمواشيهم وسرحهم عند بزوغ الشمس [2] ويعودون بها عند المساء [3] ، ومن الجدير بالذكر أن الغنم والبقر والحمير هى دون الجمل فى المكانة والمنزلة عند الأعراب وقد ترفعوا عن تربيتها [4] ، بينما نجد اليهود فى خيبر يهتمون بها ، فهى عندهم مصدراً هاماً من مصادر ماكان يجمعه أغنياؤهم من ثروات [5] .

فتشير المصادر التى بين أيدينا إلى قطعان الأغنام التى كانت ترعى على مشارف الريف فى خيبر [6] وعلى مقربة من الحصون [7] فهى لاتستطيع أن تتوغل خارج الواحة بعيداً عن مصادر الماء لأنها لاتتحمل العطش [8] كما تشير هذه المصادر إلى أن قطعان الأغنام كانت تأخذ طريقها كل يوم من وإلى الحصون صباح مساء . وأنه « كان فى القطيع للناس الشاة والشاتين وأكثر من ذلك » [9] ، كما كان يعمل فى رعيها عمال فى خدمة يهود من أهل البيوتات

(١) ابن حجر : فتح البارى ، كتاب المغازى ، باب قتل أبى رافع بن أبى الحقيق ، حديث رقم ٤٠٤٠ ، ص ٣٩٨ .

— الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٦٠ ، ٦٦٤ .

(٢) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب المغازى ، باب قتل كعب بن الأشرف ، حـ ١٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) السهيلى : الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثو ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ م ، حـ ٦ ، ص ٥٠٨ .

— الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ١٦٣ ، ١٧٠ .

(٤) جواد على : المرجع السابق ، حـ ٧ ، ص ١١٣ .

(٥) زكى شنودة : المجتمع اليهودى ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ص ٥٢٨ .

(٦) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٧) الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٥ ، ص ١٨٩ .

(٨) جواد على : المرجع السابق ، حـ ٧ ، ص ١٠٧ .

(٩) البيهقى : دلائل النبوة ، حـ ٤ ، ص ٢٢١ .

— الذهبى : تاريخ الاسلام ، حـ ١ ، ص ٣٤٧ .

أصحاب الحصون ، وبعض هؤلاء العمال كانوا من العبيد الأحباش فقد كان (يسار) الحبشى عبد أسود لعامر اليهودى فى غنم مولاه » [١] ، أى فى قطيع يمتلكه عامر ، وعامر من أسرة مرحب من سادات اليهود القاطنين بوادى النطاة [٢] ، كذلك تشير المصادر إلى أن المسلمين أثناء القتال فى منطقة الحصون بالنطاة شاهدوا عند حصن الصعب بن معاذ غنما لرجل يهودى ترعى وراء الحصن [٣] ، كما تذكر أن أبا اليسر المقاتل المسلم أمسك بشاتين كانتا ضمن قطيع كان فى الطريق إلى (حصن ناعم) [٤] ، كما تذكر هذه المصادر أن المسلمين أخرجوا من قلعة أو (حصن الزبير) بعد أن فتحوه « غنماً كثيراً » ، كانت فى بيت فى الحصن [٥] وأنهم غنموا من حصون الكتيبة كثيراً من الغنم [٦] .

كذلك عنى اليهود فى خيبر بتربية البقر ، فتذكر المصادر الاسلامية أن المسلمين غنموا من حصون خيبر بقراً كثيراً وبخاصة من (حصن الصعب بن معاذ) وهو من حصون وادى النطاة [٧] .

وقد تعجب الباحث عما تردد فى المصادر التاريخية عن كثرة البقر والغنم ووجودها بأعداد كبيرة فى ريف خيبر [٨] ، إلا أنه بالبحث فى عقائد اليهود

---

(١) عروة بن الزبير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٣) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٦٠ .

(٤) الكلاعى الأندلسى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٥٦ .

ـ الديار بكرى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٥١ .

(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ٦٦٤ .

ـ الكلاعى الاندلسى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٥٦ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٨٠ .

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٢٤١ .

(٨) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٦٤ .

وجدنا أن الحيوانات التى تنص الشريعة اليهودية بطهارتها وتصلح للقرابين فهى من الماشية البقر والغنم [١] ، كما أن الشحم من كل الذبائح وفق مايعتقدون يقدم لله ، ويستخدم فى الطقوس الدينية [٢] ، كما كانوا يستخدمون البقر فى الأعمال الزراعية مثل الحمل وسحب الماء من الآبار والحراثة فضلا عن الانتفاع بلحومها [٣] كما كان اليهود فى خيبر يربون الجمال رء وس أموال، ولاستخدامها فى النقل ، والحراثة ، فضلا عن أهميتها لتجار اليهود وقوافلهم التجارية ، فقد كان لأبى رافع الخيبرى قوافل تعمل فى تجارته مع بلاد الشام [٤] ومع أن يهود الحجاز كانوا يحرمون أكل لحوم الإبل ويكرهون شرب ألبانها [٥] إلا أن يهود خيبر كانوا يذبحون الإبل فى أفراحهم [٦] .

ولقد زادت أعداد الإبل فى منطقة الحصون بعد أن نزل واحة خيبر أكثر بنى النضير ، وهم الذين خرجوا من المدينة سنة ٤ هـ تحملهم وأمتعهم ستمائة بعير من الإبل النواعم [٧] .

واهتم اليهود بتربية الخيول واقتنائها لأهميتها فى الحرب [٨] ، ومع أن المصادر التى بين أيدينا قد أشارت إلى أسماء العديد من الفرسان اليهود فى خيبر [٩] ، إلا أنها لم تذكر شيئا عن أعداد الخيول التى كان يمتلكها اليهود القاطنين فى الحصون

---

(١) زكى شنودة : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٢) زكى شنودة : نفس المرجع ، ص ١٨٧ .

(٣) جواد على : المفصل ، حـ ٧ ، ص ٥٧٥ .

(٤) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٥) البرهان الحلبى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٧٤ .

(٧) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٧٤ .

ـــ الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٤٦١ .

(٨) فؤاد حسنين : المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٩ .

(٩) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٥٦ ، ٦٥٧ .

الخيبرية . كما أنها أغفلت الاشارة إلى حجم القوة الضاربة للفرسان اليهود فى معارك خيبر سنة ٧ هـ ، بينما ذكرت تلك المصادر أن جيش النبى ﷺ كان يضم مائتى فرس [١] .

وكان اليهود يربون **الحمير** لاستخدامها فى النقل والحمل ، ووجدت فى أرض خيبر « أحمرة ليهود » [٢] بأعداد كبيرة ، وقد أعدوا لها الحظائر فى الحصون [٣] ، ويقول أبورُهم الغفارى وكان من المسلمين الذين اشتركوا فى غزوة خيبر : « فبينا نحن مُحاصِرون حصن الصَّعْب بن معاذ ، فخرج عشرون حماراً منه أو ثلاثون ، فلم يقدر اليهود على إدخالها ، فأخذها المسلمون » [٤] ، وهذه الأعداد من حصن واحد من حصون منطقة النطاة ...

واهتم يهود خيبر **بتربية الطيور** التى كان يربيها أهل الريف ، وعلى رأسها الدجاج ، وتربية الدجاج ينظر إليها العربى نظرة ازدراء واستهجان ، فلا يليق برجل حر يحترم نفسه أن يخدم حيوانا صغيراً أو طيراً كالدجاجة ، إلا أن تربية الطيور وبخاصة الدجاج كانت من حرف أهل الريف [٥] ، وتذكر بعض المصادر أن رسول الله ﷺ أعطى جبلة بن جوال الثعلبى كل داجن بخيبر ، ويقال أعطاه كل داجن فى النطاة ، ولم يعطه من الكتيبة ولا من الشق شيئا [٦] ، أما ابن إسحق فيذكر أن رسول الله ﷺ قد أعطى ابن لقيم العبسى حين افتتح خيبر مابها من دجاجة أو داجن فقال ابن لقيم فى فتح خيبر [٧] .

---

(١) البيهقى : دلائل النبوة ، حـ ٤ ، ص ٢٣٨ .

(٢) الذهبى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٤٧ .

(٣) الصالحى : المصدر السابق ، حـ ٦ ، ص ١٦٣ .

(٤) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٦٠ .

(٥) جواد على : المفصل ، حـ ٧ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٦) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٠٠ .

(٧) ابن هشام : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ٣٥٥ .

رميت نطاة من الرسول بفيلق شهباء ذات مناكب وفقار
واستيقنت بالذل لما شيعت ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة والشق أظلـم أهلـه بنهار
جرَّت بأبطحها الذيول فلم تدع إلا الدجاج تصيح بالأسحار

ولكثرة ما أخذ ابن لُقَيم العبسى من الدجاج من خيبر فقد عُرِفَ فى بعض المصادر باسم « لُقيمُ الدَّجَّاج »[١] .

وأخيراً ، لاننسى أن اليهودَ فى خيبر اهتموا بتربية **النحل** ، لما يترتب على ذلك من استخراج العسل ، إذ كان العسل من مصادر الثروة[٢] ، وتشير بعض المصادر إلى أن المسلمين غنموا من حصون خيبر شيئا كثيراً من العسل[٣] .

أحوال الزراعة فى خيبر من الفتح وحتى نهاية عهد عمر بن الخطاب :

إن الخارص[٤] للمحاصيل الزراعية فى خيبر فى العام السابع من الهجرة ليدرك عن يقين أن النشاط الزراعى فى الواحة الخيبرية كان مزدهراً ، وأن الإنتاج الزراعى كان وفيراً . فالمحصول الكلى للتمر خرص بـ ٤٠,٠٠٠ (أربعين ألف) وسق[٥] ، بينما كان محصول الشعير يقدر بعشرة آلاف صاع[٦] ، والنوى يقدر بخمسة آلاف صاع[٧] ، فضلا عن محصول القمح

(١) ابن حجر : الاصابة فى تمييز الصحابة ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨هـ ، جـ ٣ ، ص ٣٣١ .

(٢) نادية صقر : الطائف فى القصر الجاهلى وصدر الاسلام ، الطبعة الأولى ، جده ، دار الشروق ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ، ص ٤٤ .

(٣) الحلبى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٤٢ .

(٤) الخارص : هو الذى يحرز ما على النخل والكرم من ثمر ، والخرص : الظن (ابن منظور : لسان العرب جـ ٢ ، ص ١١٣٣ ، مادة (خرص) .

(٥) ابن شبة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

(٦) الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٧) تقديراً إذ أن ناتج النوى من تمر الكتيبة الذى يقدر بثمانية آلاف وسق هو ألف صاع من النوى .

الذى كان يعد من المحاصيل الرئيسية فى الواحة الخيبرية وهو من أهم المحاصيل التى يتجر فيها اليهود (١) ، هذا إلى جانب العديد من المحاصيل الزراعية التى سبق الإشارة إليها (٢) . وفى هذا دلالة قاطعة على أن الواحة فى خيبر كانت بحق من أهم مراكز الإنتاج الزراعى فى بلاد الحجاز آنذاك ، مما جعل المعاصرين لتلك الفترة ينظرون إليها على أنها « ريف الحجاز أجمع » (٣) .

ولما فتح الله على رسوله محمد ﷺ خيبر فى صفر سنة ٧ هـ ، وغلب على الأرض والزرع والنخل ، وصالح اليهود فى خيبر على شروط ، ثم قسمها سُهْمَاناً بين الفاتحين بعد أن عزل الخمس (٤) ، سألت اليهود رسول الله ﷺ أن يُقرهم على أن يعملوا فى زراعة الأرض وفلاحتها وعمارة نخيلها ، قائلين له : « يا أبا القاسم ، نحن عبيدك ، فاستبقنا ، فادفع إلينا أرضك ، نُعطك ماشئت ، ونأخذ ماشئت » (٥) ، يامحمد : دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها » (٦) ، يامحمد : نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها ، فساقاهم رسول الله ﷺ » (٧) ، « وأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشىء ، مابدا لرسول الله ﷺ »(٨) « على أن يكفوا المسلمين المؤونة حتى يبلغ الثمر ، ولهم الحطب وسواقط النخل » (٩) .

ووفق هذه الشروط فإنه كان على اليهود المعاهدين له فى خيبر ــ بما لهم من

---

(١) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٢) انظر ص ١٤ وما بعدها .

(٣) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٧٤ .

(٤) الذهبى : المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .

(٥) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٧ .

(٦) البيهقى : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٣٠ .

(٧) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩١ .

(٨) البيهقى : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٣٠ .

(٩) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٩ .

خبرة فى الزراعة ، أن يقوموا بفلاحة الأرض ، وسقى الثمار ، وتطهير القنوات واصلاح منابت الشجر وتلقيحه ، وحفظ الثمرة وجذاذها وبناء الحوائط ، وحفر الأنهار [١] ، وحراسة الزروع ، ونحو ذلك ، وأن يحتملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل مايخرج منها [٢] .

ثم تشير المصادر التى بين أيدينا إلى أن السبب الذى دفع الرسول ﷺ إلى أن يقر اليهود فى خيبر على زراعة أرضها وعمارة نخلها هو أنه « لم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها وكانوا لايفرُغون أن يقوموا عليها » [٣] و « لم يكن لهم من العمال مايكفون عمل الأرض » [٤] ومن ثم دفعها إلى اليهود مقاسمة على النصف [٥] .

ولقد وَفَّر رسول الله ﷺ لليهود العاملين فى أرض خيبر أسباب مواصلتهم للنهوض بزراعة الأرض وفلاحتها « لتنمية الثمار » [٦] وذلك منذ اليوم الأول لفتح خيبر ، على أساس سياسة العدل التام والمعاملة الطيبة [٧] ، فعندما شكت اليهود لرسول الله ﷺ أن المسلمين « يقعون فى حَرْثهم وبَقْلهم بعد المُسَاقاة وبعد أن صار ليهود نصفه » ، نهى النبى ﷺ قوات الفتح عن ذلك وخطبهم قائلا : « إن اليهود شكوا إلىَّ أنكم وقعتم فى حظائرهم ، وقد أمَّنَّاهم على دمائهم وعلى أموالهم والذى فى أيديهم من أراضيهم ، وعاملناهم ، وأنه لاتحل

---

(١) النووى : شرح صحيح مسلم ، حـ ١١ ، كتاب المساقاة والمزارعة ، ص ٢١١ .

(٢) ابن حزم : جوامع السيرة ، ص ٢١٣ .

(٣) البيهقى : المصدر السابق ، حـ ٤ ، ص ٢٣٥ .

(٤) البيهقى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٠ .

(٦) ابن حجر : فتح البارى ، كتاب المغازى ، باب استعمال النبى ﷺ على أهل خيبر ، حديث رقم ٤٢٤٦ ، ٤٢٤٧ ، ص ٥٦٧ .

(٧) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

أموال المعاهدين إلا بحقها » (١) . وقد إلتزم المسلمون بأمر النبى ﷺ وكانوا « لايأخذون من بقولهم شيئا إلا بثمن » (٢) . وإذا حاول اليهودى أن يعطى المسلم شيئا بغير ثمن أصر المسلم على دفع الثمن (٣) ، كذلك نجد أن رسول الله ﷺ كان يبعث إلى اليهود فى خيبر عبدالله بن رواحة وكان مسترضعاً فيهم (٤) — فيخرص عليهم ، ويقسم ثمرها ، ويعدل عليهم فى الخرص (٥) ولقد شهدوا له بعدله (٦) وكان إذا ادعى اليهود الزيادة فى الخرص ، خَيَّرهم بين أخذ الثمرة بخرصها ، أو تركها للمسلمين بخرصها ، وكانوا يختارون (٧)، ولاشك أنهم الرابحون (٨) .

ولما استشهد عبدالله بن رواحة فى غزوة مؤتة في سنة ٧ هـ ، كان جبار بن صخر الأنصارى — خارص المدينة وحاسبها — هو الذى يخرص عليهم بالعدل ، « فأقامت اليهود على ذلك لايرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم » (٩) .

ورغم توفير أسباب النهوض بالزراعة فى خيبر فى عهد الرسالة ، والسياسة الحكيمة للنبى ﷺ القائمة على العدل التام فى معاملة اليهود(١٠) ، الا أن اليهود

(١) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩١ .
وانظر ابن زنجوية : الأموال ، حـ ١ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩١ .

(٣) الواقدى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٤) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٩ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ م ، حـ ٣ ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٦) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٧ ، ١٨٠ .

(٧) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٨) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٩) الطبرى : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ٢٠ .

(١٠) الجاسر : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

منذ العام الأول لفتح خيبر كانوا يحاولون سرقة المحصول من المسلمين لأنهم غير راضين فى قرارة أنفسهم بحصولهم على النصف من الثمار والتمر فى مقابل زراعة الأرض وعمارة النخل ، ولسرقة المحصول قدموا الرشوة إلى عبدالله بن رواحة عندما أرسله النبى ﷺ ليخرص عليهم ، وجمعوا له حلياً من حلى نسائهم وقالوا له : « هذا لك ، وتجاوز فى القَسْم » (١) ، ولما لم يفلحوا فى سرقة المحصول عند خرصه عن طريق الرشوة ، لجأوا إلى أسلوب الإرهاب بقتل واغتيال من يفد من المسلمين إلى خيبر ليتفقد أحوال الزراعة فى أراضيهم وليراقب اليهود العاملين فيها (٢) ، وذلك لتخويفهم من الذهاب إلى خيبر ولإبعادهم عنها ، حتى يتيسر لهؤلاء اليهود نهب المحصول بعيداً عن رقابة أصحابه المسلمين .

ولما كشف المسلمون هذا المخطط اليهودى الخبيث وحذرهم النبى ﷺ (٣) ، أهمل اليهود شئون الأرض ، ولم يهتموا بعمارة النخل ، إذ تطالعنا المصادر بأن الانتاج الزراعى فى خيبر قد قلَّ ونقص ، « وأن البلاد ليست كما كانت » (٤) ، « واليهود بأيديهم الأرض والنخل ليست كما كانت » على حد قول أصحابها المسلمين من أصحاب الأسهم (٥) ، فقد تدهور إنتاج الأرض من الحاصلات الزراعية ، كما قل إنتاج النخل من التمر (٦) . وإذا كان المسلمون قد ذهبوا إلى خيبر لتفقد أحوال أموالهم التى بيد اليهود ومراقبة زروعهم (٧) . فان

---

(١) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٦٩١ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ٣٦٩ .
الذهبى : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٥٢ .
الحلبى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٧٣ .

(٣) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧١٤ .

(٤) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧١٣ .

(٥) الواقدى : نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(٦) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٧) الحلبى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٧٢ ، ٧٧٣ .

اليهود فى خيبر تآمروا لابعاد المسلمين عن أرض خيبر أو الذهاب إليها ليتمكنوا من نهب الثمار والزروع ، قبل خرصها ، وفى سبيل هذا الهدف لجأوا إلى ارهاب أصحاب الأسهم من المسلمين بقتلهم فى خيبر كلما لاحت لهم الفرصة ، إذ تذكر المصادر أنهم هم الذين قتلوا عبدالله بن سهل بن زيد الأنصارى الحارثى بخيبر [1] ، « وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً » [2] وكان ذلك على عهد رسول الله ﷺ إذ حذرهم ﷺ وأنذرهم بالحرب [3] .

ولقد اهتم أبو بكر رضى الله عنه فى خلافته بشئون خيبر ، وسلك نهج رسول الله ﷺ فى معاملته لليهود فيها ، وأقرهم على زراعة أرضها وعمارة نخلها كما كانوا على عهد رسول الله ﷺ [4] ، كما « كان أبوبكر يبعث مَنْ يَطَّلِعُها وينظر إليها ويتعاهدها ويراقب اليهود العاملين فيها » ، « وكان عمر يفعل ذلك أيضا » [5] ، صدراً من خلافته [6] ومع ذلك شهد الانتاج الزراعى فى خيبر قبل اجلائهم منها مزيداً من التدهور فى خلافة عمر ، وبخاصة فى واديا الشق والنطاة [7] ويرجع إسرائيل ولفنسون تدهور النشاط الزراعى فى خيبر آنذاك إلى المراقبة الشديدة التى فرضها المسلمون على الزُرّاع اليهود فى خيبر ، وإلى سوء الأوضاع الاقتصادية لليهود فى خيبر بعامة ، فضلا عن أن نصف

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، حـ ٣ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢) ابن هشام : المصدر السابق ، حـ ٣ ، ص ٣٦٩ .

(٣) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧١٤ .

(٤) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٨ .

(٥) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧١٦ .

(٦) ابن شبة : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٧) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧١٣ .

المحصول الذى يحصل عليه اليهود لم يكن كافيا لمعيشتهم ، كما لم يكن كافيا للنفقة على زراعة الأرض التى بأيديهم أو عمارة النخل (١) .

وقد دفع قلة إنتاجية الأرض فى خيبر المسلمين إلى الاستعانة بأهالى البلاد المفتوحة ممن لهم خبرة بالزراعة ، لفلاحة أراضيهم فى الواحة الخيبرية ، فتذكر المصادر أن مُظَهِّر بن رافع الحارثى أتى بأعلاج من نصارى الشام ممن لهم خبرة بالزراعة كيهود خيبر ، ليعملوا له فى أرضه ، ولم يلبث هؤلاء الفلاحون القادمون ثلاثة أيام فى خيبر حتى حرضهم اليهود على قتل مُظهِّر ، ودسوا إليهم سكينين أو ثلاثة ، فبعجوا بطنه ، ثم لجأ الجناة إلى اليهود فى خيبر « فآووهم وزودوهم وأعطوهم قوة فلحقوا بالشام » (٢) ، وقد فعل اليهود ذلك ليفسدوا أى خطة للاستعانة بغيرهم ، فى فلاحة الأرض ، كما أنهم تربصوا بعبدالله بن عمر وجماعة من أصحاب الأسهم فى خيبر عندما تفرَّقُوا فى أودية الواحة ليتفقدوا الزروع والثمار ، ففدعوا يداه (٣) ، لارهابه وأصحابه بهدف ابعادهم عن أموالهم فى خيبر ، مما دفع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أن يتخذ قراراً فى سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م باجلاء اليهود عن أرض خيبر ، فقد تكرر منهم نقض ماصالحهم عليه رسول الله ﷺ . وخطب عمر الناس فأعلمهم أنه خارج إلى خيبر ، لاجلاء اليهود منها فليس للمسلمين « عدو هناك غيرهم ، فمن كان له بها مال فليخرج فأنا خارج ، فقاسم ماكان بها من الأموال ، وحاد حدودها ، ومورف أُرَفها (٤) ، ومجلى اليهود منها ، فان رسول الله ﷺ قال لهم : « أقرّكم ما أقرّكم الله » ، وقد أذن الله فى جلائهم إلا أن يأتى رجل منهم

---

(١) ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٨٣ .

(٢) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧١٦ .

الحلبى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧٧٢ ، ٧٧٣ .

(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ، حـ ٣ ، ص ٤١٦ .

(٤) الأُرَف : جمع أُرْفَة وهى الحُدُودُ والمَعَالِمُ . ويُقال : أرّفْتُ الدار والأرض تأريفا إذا قسّمْتَها وحَدَّدْتَ لَها (ابن منظور : اللسان ، حـ ١ ، ص ٦٣ ، مادة : أرف) .

بعهد أو بيِّنة من النبي ﷺ أنه أقره فأُقِرَّه »[1] ، وقد رأى المهاجرون جميعاً والأنصار رأى عمر ، ثم خرج عمر رضي الله عنه بأربعة قُسَّام : فَرْوَة بن عمر البَياضيّ ، وحُباب بن صَخر السُلَميّ ، وأبو الهَيْثم بن التَّيِّهان ، وزيد بن ثابت ، فقسمُوا خيبر على ثمانية عشر سهماً ، على الرءوس التى سمَّى النبى ﷺ [2] .

★ ★ ★

---

(١) الواقدى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٧١٦ ، ٧١٧ .

(٢) الواقدى : نفس المصدر ، حـ ٢ ، ص ٨١٨ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصـــادر :

(١) ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) :
« أسد الغابة فى معرفة الصحابة » ، سبعة أجزاء ، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

(٢) البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :
« فتوح البلدان » ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م .

(٣) البكرى (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :
« معجم ما استعجم » ، أربعة أجزاء ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .

(٤) البيهقى (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) :
« المحاسن والمساوىء » ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، (د. ت) ، الجزء الثانى .

(٥) ـــــــ : « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة » ، ثمانية أجزاء تحقيق عبد المعطى قلعجى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .

(٦) أبو حاتم السجستانى (ت ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) :
« كتاب النخل » تحقيق ابراهيم السامرائى ، الطبعة الأولى ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٧) ابن حجر (٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) :
« فتح البارى بشرح صحيح البخارى » ، مراجعة قصى محب الدين الخطيب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦ م .

(٨) ـــــ : « الإصابة فى تمييز الصحابة » أربعة أجزاء ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ .

(٩) الحربى (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) :
« كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م .

(١٠) ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) :
« جوامع السيرة » ، تحقيق احسان عباس وناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، القاهرة ، (د. ت) .

(١١) الحلبى (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م) :
« انسان العيون فى سيرة الأمين المأمون ، المعروفة بالسيرة الحلبية » ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م . الجزء الثانى .

(١٢) الحميرى (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م) :
« الروض المعطار فى خبر الأقطار » ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ م .

(١٣) حسان بن ثابت (ت ٥٤ هـ / ٦٧٣ م) :
« ديوان حسان بن ثابت » ، تحقيق سيد حنفى حسانين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

(١٤) الخزاعى (ت ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) :
« كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ م .

(١٥) ابن دريد (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) :
« جمهرة اللغة » ، ثلاثة أجزاء ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، الدكن ، ١٣٤٥ هـ .

(١٦) الديار بكرى (ت ٩٦٦ هـ/ ١٥٥٩ م) :
« تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس » مؤسسة شعبان ، بيروت ، (د. ت) .

(١٧) الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :
« المغازى » تحقيق محمد محمود حمدان ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .

(١٨) ابن الزبير (ت ٩٣ هـ / ٧١١) عروة :
« مغازى رسول الله ﷺ » ، جمع وتحقيق محمد الأعظمى ، الطبعة الأولى ، منشورات مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م .

(١٩) ابن زنجويه (ت ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م) :
« الأموال » ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق شاكر ذيب فياض ، الطبعة الأولى ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .

(٢٠) ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) :
« الطبقات الكبرى » ، دار الفكر العربى ، القاهرة (د.ت)، الجزء الثانى .

(٢١) السمهودى (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م) :
« وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ، أربعة أجزاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م .

(٢٢) السهيلى (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :
« اروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام » ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، الجزء السادس .

(٢٣) ابن شبة (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م) :
« تاريخ المدينة المنورة » ، أربعة أجزاء ، تحقيق فهيم شلتوت ، دار الأصفهانى ، جدة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .

(٢٤) الشيبانى (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) :
« شرح كتاب السير الكبير » ، املاء محمد بن الحسن السرخسى ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، خمسة أجزاء ، مطبوعات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

(٢٥) الصالحى (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) :
« سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » ، الجزء الثالث ، تحقيق عبدالعزيز حلمى ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م ، والجزء الرابع تحقيق ابراهيم الترزى وعبدالكريم العزباوى ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ، والجزء الخامس ، تحقيق فهيم شلتوت وجودة هلال ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣ م ، والجزء السادس ، تحقيق ابراهيم الترزى وعبدالكريم العزباوى ، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١ م .

(٢٦) الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) :
« تاريخ الرسل والملوك » ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، الجزءان الثانى والثالث .

(٢٧) الفيروزابادى (ت ٨٢٣ هـ / ١٤١٥ م) :
« المغانم المطابة فى معالم طابة » ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م .

(٢٨) ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) :
« عيون الأخبار » ، أربعة أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

(٢٩) القزوينى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م) :
« آثار البلاد وأخبار العباد » ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م .

(٣٠) ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) :
« أحكام أهل الذمة » ، جزءان ، تحقيق صبحى الصالح ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١ م .

(٣١)ـــــ : « زاد المعاد فى هدى خير العباد » ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ، الطبعة الثالثة عشر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م ، الجزء الثالث .

(٣٢) ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) :
« البداية والنهاية » ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م ، الجزءان الثالث والرابع .

(٣٣)ـــــ : « السيرة النبوية » ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .

(٣٤) الكلاعى الأندلسى (ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م) :
« الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء » ، جزءان ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨ م .

(٣٥) ابن عبد الكريم الأنصارى (من رجال القرن الثانى عشر الهجرى) :
« تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ماللمدنيين من الأنساب » ، تحقيق محمد العروسى المطوى ، الطبعة الأولى ، تونس ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م .

(٣٦) ابن عبد ربه (٣٤٩ هـ / ٩٤٠ م) :
« العقد الفريد » تحقيق أحمد أمين وآخرون ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، (د.ت)، الجزء السادس .

(٣٧) أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م) :
« الأموال » ، تحقيق محمد خليل هراس ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م .

(٣٨) مالك (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) :
« الموطأ » ، تحقيق أحمد عرموش ، الطبعة السادسة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م .

(٣٩) المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
« امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع » ، الجزء الأول ، تحقيق محمد التميمى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م .

(٤٠) ابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :
« لسان العرب المحيط » ، تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت).

(٤١) النووى (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م) :
« شرح صحيح مسلم » ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة ، (د.ت)، الأجزاء ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٤٢) ان هشام (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) :
« السيرة النبوية » تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار أحياء التراث العربى ، بيروت ، الجزءان الثالث والرابع .

(٤٣) الهمدانى (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م) :
« صفة جزيرة العرب » ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، الرياض ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

(٤٤) الواقدى (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) :
« المغازى » ، ثلاثة أجزاء ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

(٤٥) ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :
« معجم البلدان » ، خمسة أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

ثانياً : المراجـــع

(٤٦) الأفغانى (سعيد) :
« أسواق العرب فى الجاهلية والاسلام » ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

(٤٧) باشميل (أحمــد) :
« غزوة خيبر » ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .

(٤٨) الجاسر (حمد) :
« فى شمال غرب الجزيرة » الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٣٩٠هـ .

(٤٩) جروهمان (أدولف) :
« خيبر » ، مقال بدائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد ثابت وآخرون ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣ م ، الجزء التاسع .

(٥٠) جواد على :
« المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام » ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، الجزء

(٥١) جيلمور (مايكل) وآخرون :
« تقرير مبدئى عن مسطح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية ، اطلال (حولية الآثار السعودية) ، العدد السادس ، الرياض ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م .

(٥٢) حسن ظاظا :
« الفكر الدينى اليهودى ــ أطواره ومذاهبه » ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م .

(٥٣) خليف (يوسف) :
« الشعراء الصعاليك » ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

(٥٤) الخطراوى (محمـــد العيد) :
« المدينة المنورة فى العصر الجاهلى » ، الطبعة الأولى ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢ م .

(٥٥) شنودة (زكى) :
« المجتمع اليهودى » ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، (د.ت).

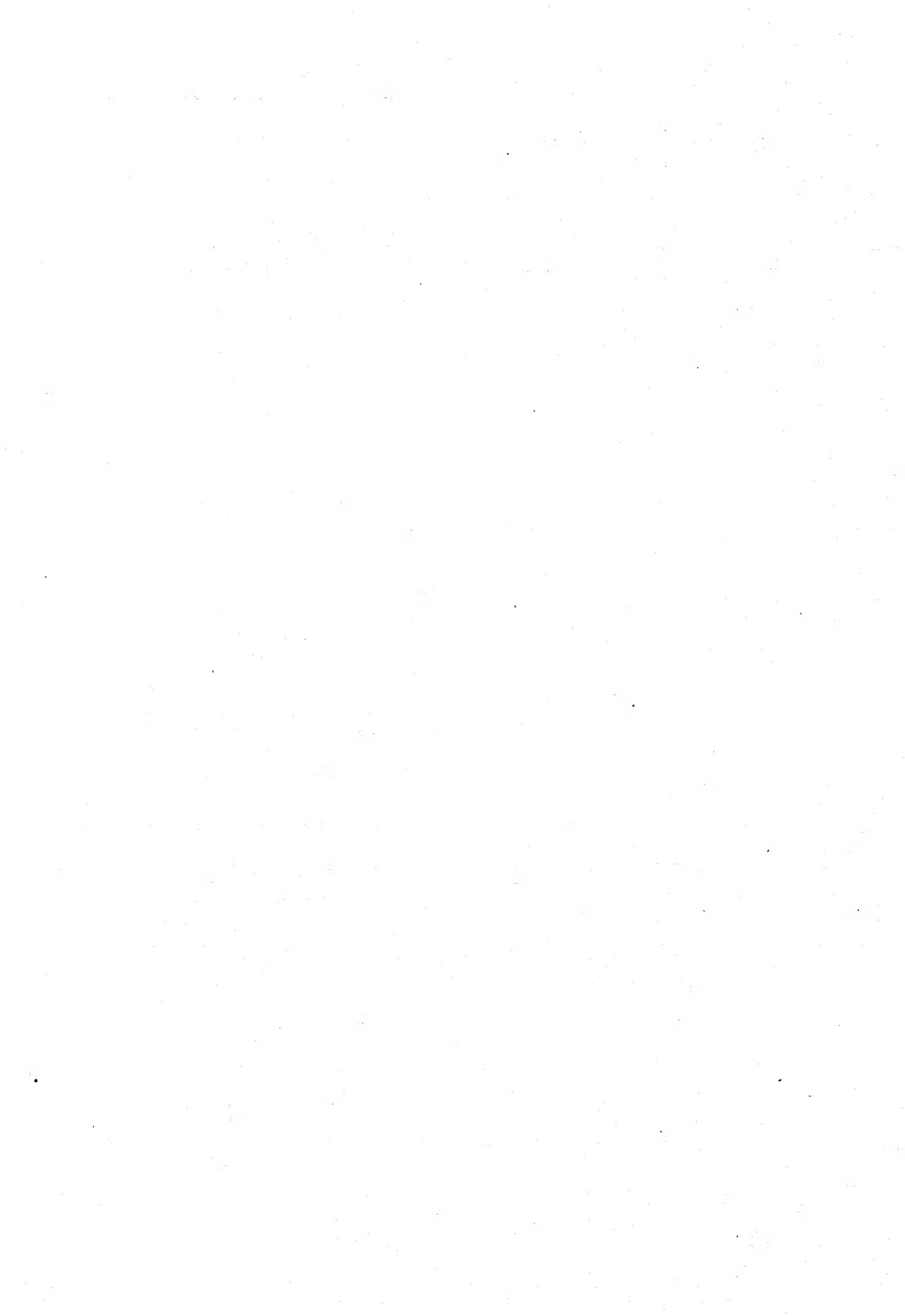
(٥٦) عاتق غيث البلادى :
« بين مكة وحضرموت » ، الطبعة الأولى ، مكة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٥٧) فؤاد حسنين :
« المجتمع الاسرائيلى حتى تشريده » ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

(٥٨) مهران (محمد بيومى) :
« دراسات فى تاريخ العرب القديم » ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م .

(٥٩) ثورة الشيخ :
« الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة المنورة فى صدر الاسلام » ، الطبعة الأولى ، جدة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م .

(٦٠) ولفنسون (اسرائيل) :
« تاريخ اليهود فى بلاد العرب » ، القاهرة ، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م.



(فهرس موضوعات البحث)